

الفصل السابع

القدرات المعرفية المكتسبة

تحدثنا في الفصلين السابقين عن الذكاء والاستعدادات الفطرية الخاصة ، وهي تعتبر بمثابة المواد الخام التي تبني عليها القدرات والمهارات المكتسبة التي سنتناولها بالبحث الآن .

وإذا كنا قد أكدنا أهمية الاستعدادات الفطرية — العامة منها والخاصة — في تكوين الشخصية ، فإن القدرات المكتسبة لا تقل عنها أهمية ، خصوصاً وأن الاستعدادات الفطرية لا تعبر عن نفسها إلا عن طريق القدرات المكتسبة فيما يبديه الشخص من خبرة وجران ومقدرة ثقافية أو تعليمية .

والقدرات المكتسبة أكثر وضوحاً وأسهل في دراستها من الاستعدادات الفطرية ، إذ أنها خاضعة للقياس المباشر لاتصالها بما يظهر به الشخص فعلاً ، وبما يقوم به من أعمال وما يكتسبه من دراسات وثقافات ؛ بينما الاستعدادات الفطرية تعني ما وراء هذه الأعمال وهذه القدرات المكتسبة من طاقة عقلية معرفية .

ويصح في دراستنا للقدرات المكتسبة أن نقسمها كما اتفقنا

إلى : —

١ — القدرة الثقافية العامة ، أو المستوى الثقافي العام .

٢ — القدرات الثقافية الخاصة كنواحي التخصص التعليمي

والمهني .

المستوى الثقافي العام

وهو يناظر العامل المعرفي الفطري العام أو الذكاء ويتوقف عليه إلى حد كبير ؛ فكما أن هناك طبقات مختلفة من مراتب الذكاء ومستوياته فكذلك يمكن أن نجد من الأشخاص من يتميزون بقدرة ثقافية واسعة في كل النواحي تقريباً وبصفة عامة ، ومن نجد ثقافتهم محدودة وسطحية جداً بوجه عام ، كما أن من الممكن أن نميز درجات مختلفة في المستوى الثقافي العام فنقسم الناس إلى طبقات ومراتب حسب هذه الدرجات .

وإذا كان الذكاء يقاس باختبارات الذكاء (Intelligence

Tests) المبنية على إدراك العلاقات وعلى القدرة على التفكير

والتصرف ... الخ ، بصرف النظر عن التعليم أو المران والخبرة ؛

فإن القدرة الثقافية العامة تقاس باختبارات من نوع آخر ، حيث

تشمل عينات مختلفة من جميع أنواع الثقافة وفروعها ، ومن أمثلة

هذه الاختبارات (General Information Tests) ، وترمى إلى الوقوف على مبلغ ما امتصه الشخص فعلا من الثقافات المختلفة من البيئة التي هو فيها ، سواء كان ذلك عن طريق التعليم المدرسى ، أو عن طريق الإذاعة والصحف والسينما ، أو عن طريق حياته اليومية في المنزل أو الشارع أو المصنع ، أو عن أى طريق من طرق التفاعل مع البيئة .

وإذا كان الذكاء كاستعداد فطرى لا يتأثر كثيراً بالعمر الزمنى للشخص ، ولا بنوع التربية التي لاقاها الشخص ، ولا بنوع البيئة الجغرافية التي نشأ فيها ، بحيث نجد أن مستوى ذكاء الشخص في طفولته لا يختلف عنه في شبابه ورجولته ، ونجد أن سكان الريف لا يختلفون في الذكاء عن سكان المدن بصفة عامة ، وأن أفراد الشعوب الشرقية لا يختلفون فيه عن أفراد الشعوب الغربية . . . وهكذا ؛ فإن المستوى الثقافى العام بطبيعته يتوقف على عوامل الزمان والمكان ، إذ أنه يعتبر مقياساً للعوامل الثقافية الخارجية المحيطة بالشخص ، بجانب كونه مقياساً لمدى ما اكتسبه الشخص منها .

وهنا يمكن أن نلمس أثر تداخل مكونات الشخصية وصعوبة الفصل بينها ، فقد كان من الممكن أن ندرس هذه الناحية الثقافية من مكونات الشخصية عند دراسة أثر البيئة في تكوين الشخصية .

تأثير العامل الثقافي في قياس الذكاء :

ويصح أن نشير هنا إلى تداخل عامل الذكاء مع القدرة الثقافية وأثر ذلك في الاختلاف على معرفة حقيقة الذكاء وطبيعته ؛ فقد كان الذكاء يقاس عادة باختبارات تعتمد كثيراً على مؤثرات البيئة ، كالاختبارات اللفظية التي تتوقف على القراءة والكتابة ، بل وكانت الأسئلة تدور حول نواح ثقافية بحيث تتوقف الإجابات كثيراً على القدرة الثقافية العامة ؛ ولهذا كانت نتائج القياس غير ثابتة من اختبار إلى آخر وتختلف في الشخص الواحد من وقت إلى آخر . . . وهكذا . وأدى ذلك إلى الاختلاف في الرأي عما إذا كان الذكاء وراثياً كله أو أنه يعتمد على الوراثة والبيئة معا . . . الخ . ولكن مقاييس الذكاء الحديثة تحاول أن تستبعد أثر عوامل الثقافة والبيئة إلى أقصى حد ممكن ، لتلافي ذلك أثر تدخل العامل الثقافي العام ؛ وحتى برغم هذا الاحتياط فإن اختبارات الذكاء الحالية لا يمكن تنقيتها تماماً بحيث تكون خالية خلواً أكيداً من أثر هذا العامل . ولهذا نجد كثيرين من الباحثين في طبيعة الذكاء يختاطون في أحاديثهم عنه فيتكلمون عن : (ا) الذكاء من الوجهة النظرية البهتة ، وهو الاستعداد الفطري الذي يعتمد على الوراثة تماماً والذي لا تتأثر كميته عند الشخص مدى حياته منذ الولادة . . . الخ ؛ (ب) والذكاء كما تقيسه الاختبارات ، وهو

خليط من الذكاء الفطري وجزء من العامل الثقافي العام ، ويمكن أن يقبل المناقشة من حيث كونه يختلف من اختبار إلى اختبار ، وكونه يتأثر بعوامل البيئة بحيث يمكن أن تتغير نتائج القياس إذا تغيرت ظروف البيئة ؛ ولكن برغم ذلك يجب أن نتذكر أن الاستعداد الفطري يتحكم كثيراً في القدرة الثقافية المكتسبة ، بحيث أن هذه القدرة لا يمكن أن تزيد عن حدود معينة في الشخص الواحد بحسب ما يكون لديه من استعداد ، مهما تحسنت ظروف البيئة .

وفي اعتقادي أن البحث في المستوى الثقافي العام (General Cultural Status) ، وأخذ نتائج قياسه في الاعتبار عند الحكم على الشخصية ، لا يقل في أهميته عن قياس الذكاء ؛ إذ أن القدرة الثقافية العامة توضح لنا المحصلة النهائية لفعل كل من الذكاء والقوى الثقافية المختلفة ، وترينا الشخص كما هو ، بينما الذكاء يبين لنا الشخص كما يجب أن يكون .

ويمكن أن نلمس العلاقة بين الذكاء والعامل الثقافي العام إذا أخذنا مثلاً عملياً في المحيط التعليمي عند ما نحتاج لدراسة حالات التأخر الدراسي مثلاً ، فبعض هذه الحالات ترجع أسباب التأخر فيها إلى الغباء — أي نقص كمية الذكاء — وهناك لا يكون للتلميذ ذنب في التأخر ، ويمكن تشخيص ذلك بإجراء اختبارات للذكاء

واستخراج العمر العقلي ومقارنته بالعمر الزمني حيث نجد أن نسبة الذكاء تدل على الغباء . ولكن بعض الحالات الأخرى نجد فيها الذكاء عالياً ، ولكن الاستفادة منه واستغلاله في التحصيل غير كافية ، بحيث لا يتمشى تحصيل التلميذ وكسبه للمعلومات مع مالهديه من ذكاء . وهنا يصح البحث عن العوامل التي أدت لهذا القصور ، سواء كانت خاصة بالظروف المنزلية أو المدرسية أو المزاجية أو غير ذلك . ويمكن تشخيص مثل هذه الحالات بإجراء اختبارات تحصيلية في العلوم كلها — وهذه تمثل هنا اختبار المستوى الثقافي العام — ثم نستخرج العمر التحصيلي للتلميذ ونقارنه بالعمر العقلي لنحصل على النسبة التحصيلية ، حيث نجد في هذه الحالة دالة على التأخر التحصيلي .

ويلاحظ من المثال السابق أن المستوى الثقافي العام يعتبر أمراً نسبياً مرهوناً بنوع الثقافة التي يراد بحثها ، ويتوقف قياسه على ظروف البيئة والوسط ، بحيث يصعب جداً مقارنة العامل الثقافي العام لمجموعات متباينة في نوع الثقافة أو البيئة ؛ فالمستوى الثقافي العام لسكان الغابات مثلاً يختلف في أسسه ومكوناته عن المستوى الثقافي العام لسكان الصحارى . . وهكذا ، فقيمة قياس المستوى الثقافي العام إذن تظهر أهميتها عند مقارنات الأشخاص الذين تحيط بهم ظروف متشابهة حيث تسهل المقارنة على أسس واحدة .

ويمكن أن ندرك مبلغ أثر العامل الثقافي العام في تكوين الشخصية إذا قارنا بين الأشخاص ذوي الثقافات المتفاوتة في مستوياتها ، من حيث مكانتهم الاجتماعية وقدرتهم على التعامل في البيئة وأثر ذلك في نجاحهم في الحياة ، بما يوازي ما سبق قوله عن الذكاء .

القدرات الثقافية الخاصة

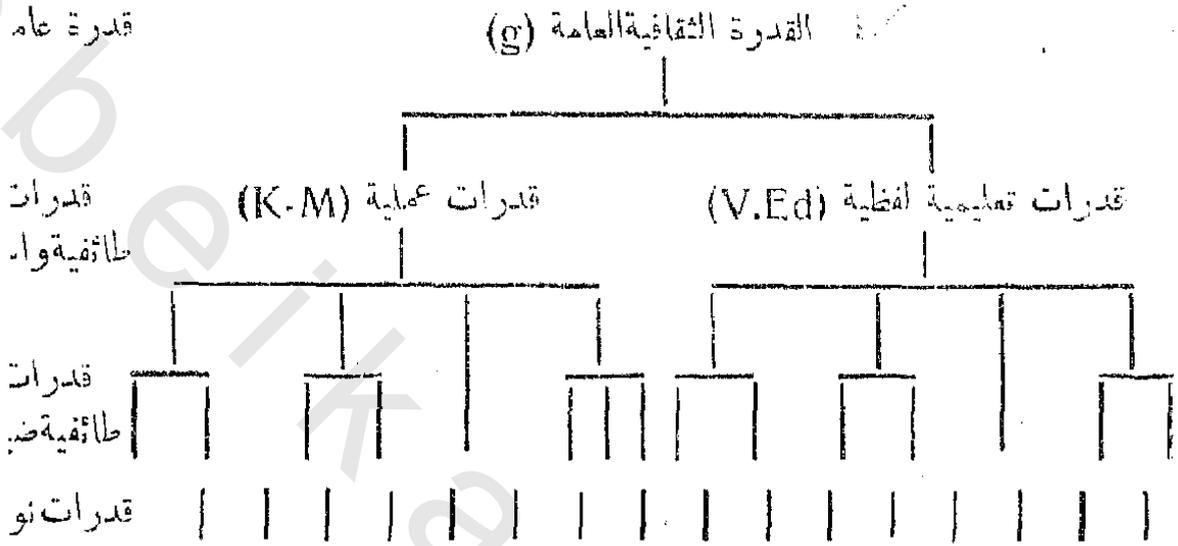
بجانب ما قد يكون عنه الشخص من قدرة ثقافية متنوعة واسعة أو ضيقة في جميع النواحي بصفة عامة ، فإن هذا لا يمنع أن يكون متميزاً في نوع خاص من أنواع الثقافات فيبرز فيه دون غيره ، ويوجه إليه اهتمامه بشكل خاص .

ويتوقف وجود هذه القدرات الثقافية الخاصة عند الشخص على عوامل شتى بعضها يتصل بنوع الاستعدادات الفطرية الخاصة لدى الشخص — وهذه من شأنها أن تؤثر في تخصص الفرد واتجاهه نحو مهنة معينة أو نحو ثقافة نوعية خاصة تناسب هذه الاستعدادات — وبعضها يتصل بعوامل أخرى كالتسهيلات المحيطة به والتي تمكنه من كسب ثقافات خاصة دون غيرها ، وبعضها يتصل بظروف الشخص الصحية والمزاجية . . وهكذا .

ولهذا نجد أن هذه القدرات الثقافية الخاصة تتصل كثيراً بما يسمى الميول الخاصة (Special Interests) ؛ وهذه الميول والقدرات الثقافية الخاصة يمكن أن تتعدد وتتنوع بحسب تشعب العوامل الكثيرة التي تتفاعل في تكوينها ، ولهذا فمن المستحيل أن نتمكن من حصر عددها ، ولكن من الممكن أن نحاول دراسة بعض التصنيفات الرئيسية لها ، والتي على ضوءها يمكن أن نميز أنواعاً مختلفة من الشخصيات بحسب ما لديهم من هذه القدرات المكتسبة الخاصة .

ويصح أن نستعين بتصنيف أرسطو فنقسم هذه القدرات إلى : (١) نظرية و (٢) عملية ؛ وهذا لا يختلف كثيراً عن التقسيم الذي أخذ به بيرت (Burt) وهو : (١) قدرات تعليمية (٢) قدرات مهنية . وقد وجد فرنون (Vernon) من نتائج التحليل العامل للاختبارات المختلفة التي أجريت على الكبار عند الالتحاق بالجيش ، أو تلك التي أجريت في محيط التوجيه التعليمي والمهني ، أن من الممكن تقسيم القدرات العقلية إلى : (١) قدرات تعليمية لفظية (V.Ed) و (ب) قدرات عملية (K-M) ، وأن كلا من هذين القسمين يمكن اعتباره قدرة طائفية واسعة ينطوي تحتها عدد من القدرات الطائفية المتفرعة منها . كما أن من الممكن الاستمرار

في هذا التقسيم حتى نصل إلى القدرات النوعية ، كما يتضح من
التنظيم التدريجي الآتي : —



(١) القدرات النظرية التعليمية :

وتظهر بوضوح وجلاء في محيط التحصيل المدرسي ، وتشمل

ما يأتي : —

١ — القدرات اللغوية : وأساسها الاستعدادات اللفظية
وقدرات الإدراك ، والذاكرة . . . ويمكن أن نميز فروعاً مختلفة
لهذه القدرات مثل المطالعة أو القراءة ، والتحرير أو الكتابة .

٢ — القدرات الرياضية : ^(١) وتعتمد على القدرة العددية

الحسابية ، والقدرات المنطقية ، والقدرة على التصور البصري ؛

(١) أنظر رسالة المؤلف للدكتوراه وموضوعها : تحليل القدرات الرياضية .

ويمكن أن نلمس ذلك في فروع الرياضية المختلفة . . . ويصح أن نشير هنا إلى أن القدرات الرياضية لا تعتمد كثيراً على القدرة اللفظية ، وأن قدرات التفكير الرياضي لا تعتمد كثيراً على قدرات التذكر ، وأن القدرة الهندسية تعتمد على القدرة المنطقية وعلى التصور البصرى .

٣ — القدرات الأدبية : وأساسها القدرة اللفظية ، وقدرات الحفظ والتذكر ، وقدرات التفكير اللفظى . . . وتظهر في الميل لدراسة المواد الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا والدراسات القانونية .

٤ — القدرات العلمية : وتعتمد على القدرات الإدراكية ، وقدرات التصور البصرى ، وقدرات التفكير العلمى ، ويتضح هذا جلياً في العلوم الطبيعية وعلوم الأحياء . . .

٥ — القدرات الفنية : وتعتمد على الاستعدادات الفنية وتقدير الجمال ، وقدرات التوافق والاتزان الحركى ؛ وتتضح في هوايات الرسم والموسيقى والتصوير . . . وهكذا .

٦ — القدرات التعليمية العملية : وتعتمد على القدرات الفنية والقدرات الميكانيكية والمهارات اليدوية . . . كما يتضح في قدرات التدبير المنزلى والهوايات العملية كإفلاحة البساتين والأشغال اليدوية .

٧ — القدرات الدينية: وتعتمد على عوامل مزاجية بجانب العوامل المعرفية ، وتتأثر أيضاً بعوامل البيئة ، وتختلف أسسها بحسب السن الذي يراد دراستها فيه . . .

ويجدر أن نستغل دراستنا للاختلافات الفردية في هذه القدرات الفطرية والمكتسبة عند توجيه التلاميذ إلى أنواع التعليم الثانوي المختلفة أو عند التخصص في التعليم الجامعي .

ويصح أن نؤكد هنا أنه لا توجد حدود فاصلة بين القدرات النظرية والعملية ، لأن كثيراً من القدرات المكتسبة تعتمد على كل من الثقافة النظرية والمران العملي ، ويتضح ذلك بوضوح أكثر في المهن التعليمية التي سيأتي ذكرها بعد .

(ب) القدرات العملية المهنية :

وتبنى على ما لدى الشخص من استعدادات فطرية عملية كالتقدرات الميكانيكية ، وقدرات التصور البصري ، وقدرات التوافق الحركي ، والمهارات اليدوية . . . وغير ذلك ويمكن أن نقسمها إلى : —

١ — القدرات المهنية التي تتطلب ثقافة نظرية ، كالطب

والهندسة والصيدلة والزراعة . . الخ .

٢ — القدرات المهنية التي تتطلب مراناً آلياً ، كالأشتغال بأعمال الصناعات المعدنية ، أو الغزل والنسيج ، أو النجارة وأعمال البناء .

٣ — القدرات المهنية الاجتماعية كالصحافة ، وأعمال التأمين ، والتربية والتعليم ، والخدمة الاجتماعية .

٤ — القدرات التي تعتمد على مهارات جسمية وحركية كالتنوعى المختلفة للنشاط الرياضى والتربية البدنية .

٥ — القدرات المهنية الفنية التي تتطلب مهارات تتصل بالقدرات الجمالية . كهواية الرسم وصناعة التماثيل والتصوير .

٦ — القدرات المهنية الكتابية .

ومن المهم أن نلاحظ أن هناك تفاعلاً متبادلاً بين كل من القدرات الثقافية الخاصة والتخصص المهنى ، حيث نجد أن الثقافة التي تحيط بالشخص تؤثر كثيراً فى اتجاهه نحو مهنة دون أخرى . كما أن التخصص المهنى نفسه يؤثر فى نوع الثقافة التي يهتم بها الشخص . وينطبق هذا القول على التخصص التعليمى أيضاً .

ويصح ألا نتجاهل أثر العوامل المزاجية فى جميع هذه الحالات .

أنواع الشخصية بحسب الميول الثقافية

على ضوء الاختلافات الفردية بين الأشخاص في ميولهم الثقافية يمكن تقسيمهم إلى أنواع متباينة ، حيث نجد في كل نوع أثر العامل الثقافي في الطابع العام للشخصية .

ومن التقسيمات المشهورة في هذا الاتجاه تقسيم سبرانجر (Spranger) إلى الستة أنواع الآتية : —

١ — الشخص الذي تغلب فيه الثقافة النظرية : (Theoretical)

وهذا يهتم بالبحث عن الحقيقة ، ونظرته للحياة يغلب عليها النزعة المعرفية من ملاحظة واستنتاج ونقد ومقارنة ، ليصل إلى نوع من تنظيم المعلومات ، ومن أمثلة هؤلاء من ينفرغون للبحث في النظريات والقوانين العلمية .

٢ — الشخص الذي تغلب فيه الثقافة الاقتصادية : (Economic)

وهذا يهتم بما فيه فائدة أو نفع ، فينتجه اتجاهاً عملياً يحقق له ميوله ، كالاشتغال بالتجارة وتفهم أصولها ودراسة أحوال السوق والأسعار المالية ، وما يتصل بجمع الثروة وتدير المال . . . ولذا يهتم بالثقافة ذات القيمة النفعية ، ويعتبر الثقافة النظرية

مضحية للوقت وعديمة القيمة . وتناثر شخصيته تبعاً لهذا النوع من الاتجاه ، فيبنى علاقاته بالناس على أساس منفعته وتفوقه عليهم في الثروة ، بدل الاتجاه إلى معاونتهم أو خدمتهم اجتماعياً . وحتى نظرته إلى الدين تتوقف على مبلغ ما يبسر له الله من سبل تحسين حالته الاقتصادية . . وهكذا .

٣ — الشخص الذي تغلب فيه الثقافة الفنية : (Esthetic)

وهذا يهتم بما يتصل بالجمال والنظام والترتيب والذوق السليم ، وهو يرى الحقيقة في الجمال — وتتصل ثقافته ودراساته وميوله بالبحث في هذه الأمور . ويكون مرهف الحس ويغلب على حياته التأمل وحب العزلة .

٤ — الشخص الذي تغلب فيه الثقافة الاجتماعية : (Social)

وأعظم قيمة عند هذا الشخص هي حب الناس ، والعمل لصالح الأفراد والجماعات ، فيكون عطوفاً محبباً للخير بعيداً عن الأنانية ، ولا تعجبه النزعات المادية أو الشخصيات الاقتصادية أو النظرية ، وهو قريب إلى نوع الشخصية الدينية . ومن أمثله المصلحون الاجتماعيون والمدرسون .

٥ — الشخص الذي تغلب عليه الثقافة السياسية : (Political)

وهذا يهتم بالقوة قبل كل شيء ، وهو ينزع إلى المنافسة وحب السيطرة ، ويحاول أن يكتسب من الثقافات ما يمكنه من

التأثير في غيره ، والتفوق عليهم بالحجج والبراهين ، فیتجه لدراسة القانون والمحاماة والاقتصاد والاجتماع والخطابة والصحافة إلى غير ذلك .

٦ — الشخص الذي تغلب عليه الثقافة الدينية : (Religious)

ويغلب على حياة أمثال هذا الشخص التفكير في الخالق والتعمق في التأمل والتدين . . فيرون سعادتهم في مدى طاعتهم للدين وتمسكهم به . . وتتخذ هذه النزعة مظهراً متطرفاً في حالات التصوف والرهبنة .

ويلاحظ أن معظم الناس خليط من هذه الأنواع كلها بحيث يصعب في كثير من الأحيان أن نعين إلى أي نوع منها ينتمي كل شخص . كما أن الذي يحدد نوع الشخصية ليس مجرد العوامل الثقافية وحدها وإنما يحدث ذلك نتيجة تفاعل مكونات الشخصية مجتمعة .

ومن الممكن أن نقسم الناس بحسب ثقافتهم على أسس أخرى كأن نقارن بين الشخصية ذات الثقافة الرياضية والشخصية ذات الثقافة اللغوية والشخصية ذات الثقافة الأدبية والشخصية ذات الثقافة الزراعية . . وهكذا . وطبيعي أن الفوارق بين هذه الشخصيات يمكن أن ناهسها بوضوح كبير في كثير من الحالات .

مراجع :

1. A. Anastasi : Differential Psychology.
2. M. K. Barakat : Factors Underlying The Mathematical Abilities. PH. D. Thesis.
3. C. Burt : The Structure of the Mind : A Review of the Results of Factor Analysis. B. J. Ed. Psy. Vol. XIX.
4. R. B. Cattell : Description & Measurement of Personality.
5. A. A. H. El Koussey : The Visual Perception of Space B. J. Psy. Mon. Sup. No. XX.
6. C. Spearman : The Abilities of Man .
7. C. Spearman & Wynn Jones L. L. : Human Abilities.
8. L. L. Thurstone : Primary Mental Abilities.
9. P. Vernon : The Structure of Human Abilities.